أريد أن أتحدث إلى أهل القرآن

محاضرة ألقاها

الشيخ / أحمد الجوهري

أريد أن أتحدث إلى أهل القرآن

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، بسم الله سبحانه وتعالى وبحمده، وصلاةً على رسوله وسلامًا، ورضوانًا على صحابته وتابعيهم حتى نلقاهم.
أما بعد .. فحيَّاكم الله وبارك جمعكم يا أهل القرآن، وأنا أتشرَّف بأن أكون الليلة بينكم، فإن لقاء أهل القرآن شرف، حقيقةً أشكر من هيَّأه، وأشكر من يسَّره، وأشكر من أسهم في حصوله، وأشكر كل من حرص على حضوره.

وقد كانت هذه أمنيةً عندي، أن أتوجَّه بحديثي إلى أهل القرآن خاصة، ولهذا تجدونني عبرت في عنوان محاضرتي هذه عن تلك الأمنية، ولم أسترها ولم أخفها، بل قلت بصريح العبارة: (أريد أن أتحدث إلى أهل القرآن)، والحمد لله على أن ذلك الآن واقع يجري؛ أتحدث إليكم وتسمعونني.

أيها الإخوة والأخوات، يا أهل القرآن، إن نعمَ الله تبارك وتعالى على الإنسان المسلم كثيرة، لا تعد ولا تحصى.

وهي نعمٌ متعددة، متنوعة؛ ظاهرة وباطنة، خاصة وعامة، مباشرة وغير مباشرة، مؤقتة ودائمة، مادية ومعنوية، في حياته وبعد مماته، ما سأله وما لم يسأله، كما تحفظون في قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ﴾ [لقمان: 20] أي: أتمها وأكملها، كما يقولون في لغتنا العربية الكريمة: "أسبغ الثوب": جعله سابغًا تامًّا وافيًا. وكذلك "أسبغ النعمة": أتمها وأضفاها، كما تقرأون أيضًا في قول الله تبارك

وتعالى: ﴿أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ [سبأ: 11]، السابغة هي: الدِّرع التي يلبسها المقاتل غطاءً واقيًا وافيًا يسترُ كُلَّ جزءٍ فيه حتى لا تأتيه طعنةُ رُمحٍ ولا ضربةُ سيفٍ ولا رميةُ سهمٍ من ناحيةٍ من النَّواحي، وهكذا هي نِعمُ الله علينا.

ومن أجلِّ نعم الله تبارك وتعالى وأعظمها على المسلم: نعمة هذا القرآن، وهي نعمة تشتمل على نِعَمٍ، فمن ذلك:

نعمة تلاوة القرآن، إذا تلا الإنسان القرآن يحصّل به الأجور، ويَكسب العلوم، ويُشبع الروح، وقد سمّى الله تبارك وتعالى القرآن روحًا، وسمّى من نزل بالقرآن روحًا

وكذلك نعمة سماع القرآن، وقد استمع نبيُّنا ﷺ لقراءة جماعة من أصحابه رضوان الله عليهم، وقال في أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه - وقد استمع ﷺ لقراءته يومًا -: "لقد أوتيتَ مِزمارًا من مزامير آل داود" – يعني من مزامير داود عليه السلام نفسه - وهذا تعبيرٌ عربي معروف، كما قال النبي ﷺ لمن جاء بصدقته وهو أبو أوفى: "اللهم صلِّ على آل أبي أوفى"، يعني على أبي أوفى نفسه.

ونعمة حفظ القرآن، فمن جمع القرآن في صدره فقد أوتي خيرًا كثيرًا، وفي الإسلام: الحافظ مقدَّم في الدنيا والآخرة؛ مقدمٌ في الإمارة، والإمامة، والشورى، واللَّحْد عند الموت، وفي الحديث: "إن من إجلالِ الله تعالى: إكرامَ ذي الشَّيبة المسلم، وحاملِ القرآن غيرِ الغالي فيه والجافي عنه، وإكرامَ ذي السلطان المُقسِط".

ونعمة تعلم القرآن؛ أن يجلس بين يدي معلِّمٍ يعلِّمه القرآن، ينقُلُ إليه القرآن كما تلقاه عمن قبله وهكذا جيلًا بعد جيل حتى يصل إلى المصطفى ﷺ، عن جبريل، عن ربِّ العزة تبارك وتعالى.

ونعمة تعليم القرآن؛ أن يجلس بعد إتقانه ليعلِّم غيره القرآن الذي تعلمه.

وفي تعلُّم القرآن وتعليمه يقول نبيُّنا ﷺ: "خيركم من تعلَّم القرآن وعلَّمه".

ونعمة تدبر القرآن، وقد دعانا الله تعالى إلى تفهُّم القرآن وتعقُّله وتأمُّلِه والتفكُّرِ فيه، فقال ربنا تبارك وتعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: 29].

ونعمة التداوي بالقرآن - الاستشفاء بالقرآن -؛ أن يكون لدى الإنسان داء - مرض - فيطلبُ علاجه من القرآن سواء كان في بدنه أو في روحه، في جسده أوفي قلبه.

وجمهور علماء أهل السنة على أنَّ النصوص المقررة لكون القرآن شفاءً عامةٌ في أمراض القلوب والأبدان، من مثل قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: 82] وقد تداوَى نبينا ﷺ بالقرآن وداوَى، وتداوَى به أصحابه وداوَوا، وكذلك فعل العلماء من بعدهم.

ونعمة العمل بالقرآن، فما أنزل اللهُ - جلَّ ذكرُه - القرآنَ إلَّا لِيُعمَلَ به – بعد سماعه وتلاوته وتلقِّيه وتعلُّمِه وتدبُّرِه وتفهُّمه – يُنفَّذ ويُطبَّق ويصير واقعًا في حياتنا.

كما سُئلت أمُّ المؤمنين عائشةُ رضي الله عنها عن خُلُقِ رسول الله ﷺ، فقالت: "كان خُلُقُهُ القرآن".

وقبل ذلك كله: نعمة الإيمان بالقرآن، فإنه لا يتمُّ للمسلم شيءٌ من ذلك الذي قررناه كلِّه إلَّا بعد الإيمان بالقرآن وتصديقه، بل من دون ذلك لا يصح الإيمان بالله، فالإيمان بالقرآن الكريم ركن من أركان الإيمان بالله تعالى. وفي الحديث العظيم - الذي نحفظه كُلنا وهو يُقابل الفاتحة بالنسبة للقرآن فكما أن الفاتحة في القرآن هي أُمُّ القرآن فإنّ هذا الحديث في السُّنة هو أُمُّ السنة، حديث جبريل -: قال – جبريل عليه السلام للنبي ﷺ –: فأخبرني عن الإيمان، قال رسول الله ﷺ: "الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن تؤمن بالقدر خيره وشره".

نِعمٌ عظيمةٌ جليلةٌ متنوعةٌ في هذه النعمة؛ نعمة القرآن الكريم.

هذه بعض جوانب نعمة القرآن على المسلم، فالحمد لله ربِّ العالمين على نعمة القرآن الكريم.

ولكن هذا أيُّها الأحبة عطاء الله: منحة الله أو محنته، كما قال ربنا تبارك وتعالى في سورة الفجر ينبهنا إلى ذلك: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ * وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ [الفجر: 15-16]، فأخبر الله تبارك وتعالى أنّ العطاء ابتلاء، وأنَّ الحرمان ابتلاء، ابتلاه (فأكرمه ونَعَّمه)، ابتلاه (فقدَرَ - ضيق - عليه رزقه)، وأخبر ربنا سبحانه وتعالى بعده

عن قول الإنسان (أكرمن) (أهانن)، أمام العطاء وأمام الحرمان، فقال: (كلَّا)، يعني ليس الإعطاء دليلُ كرامة، وليس المنع دليل إهانة، ليس الشأن في عطاء الله، الله أعطى نعمة القرآن، إذًا الشأنُ أين؟! الشأن في تعاملي أنا، ماذا فعلتُ مع هذه النِّعمة؟

أيها الإخوة والأخوات، يا أهل القرآن .. هذه هي نعمة القرآن، فكيف كان حال أهله معها؟ كيف تعامل أهل القرآن مع هذه النعمة الجليلة؟ التي عرفنا الآن أنها عبارة عن نِعَم عظيمة.

يخبرنا الواقع، وهذه مسألةٌ نستفتي فيها الواقع، نحصُرُ فيها الأفراد والمجتمعات والأمة بأسرها، كيف كان حالها مع القرآن؟ يُخبرنا الواقع أنّ أهل القرآن مع القرآن نوعان:

- **نوع اتخذ القرآن وظيفة**، فالقرآن عنده وسيلة للعيش: يأكل بسببه ويشرب ويلبس ويسكن ويقضي مصالحه ويحقق منافعه ويحصّل مآربه، مثل أية وسيلة؛ يستوي عنده أن تكون وسيلته القرآن أو أن تكون وسيلته أيّة وسيلةٌ أخرى في الحياة.

- **ونوع جعل من نفسه سفيرًا للقرآن الكريم**، القرآن بالنسبة له رسالة هو يعتبر نفسه خادمًا من خدام القرآن:

تحمَّله وسعى ليؤديه، من أجل أن يبقى القرآن متواترًا في كل جيل كما كان في الأجيال السابقة يكون في الأجيال اللاحقة.
وتعلّمه ومضى ليعلّمه حتى لا يُخطئ النَّاس ويلحنوا في القرآن.

وفهِمه ثم اجتهد في تفهيمه؛ ليبقى القرآن ونور القرآن في النَّاس.

وطبَّقه في حياته ليكون قدوةً عمليةً لغيره بهديه وعمله كما هو داعية إليه بلسانه وقوله.

هكذا جعل من نفسه خادمًا للقرآن الكريم، هو سفير للقرآن: أرسله القرآن وأمره القرآن، فلمَّا أرسله استرسل، ولمَّا أمره ائتمر، ولمَّا نهاه انتهى.

النوع الأول – إذا لم يذم – فإنه قطعًا لن يحمد، لن ينال شيئًا من الأجور التي وعد الله تبارك وتعالى بها أهل القرآن في القرآن، ووعدهم بها رسول الله ﷺ في سنته، لقد أخذ ما طلب، ونال ما إليه سعى، وحصل ما كان نوى، وكما قال نبيُّنا ﷺ: "إنّما الأعمال بالنيات وإنّما لكل امرئ ما نوى؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسول فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه". يأخذ الدُّنيا، يأخذ المرأة، يأخذ المال الذي أراده من وراء القرآن، يأخُذ السمعة التي أراد منها أن يُقال: فلان قارئ أو فلان تالٍ.

والنوع الثاني ممدوح بكل جُمَل المدح، محمود بكل كلمات الحمد، مُثاب بكل ثواب ذكره القرآن وذكره النبي ﷺ لصاحب القرآن، اقرأ آيات القرآن الكريم، اقرأ أحاديث النَّبي ﷺ، قف مع كل ثوابٍ وُعِد به أهلُ القرآن، مع كُلِّ أجرٍ وُعِد به أهلُ القرآن وقُل: هذا من ثواب سفير القرآن وأنتَ مُطمئن غاية الطُمأنينة، من مثل: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَنْ تَبُورَ﴾ [فاطر: 29]، وقولِ النبي

ﷺ: "أهل القرآن هم أهل الله وخاصته"، وقولِه ﷺ: "يقال لصاحب القرآن: اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها"، الحديث الذي جعل بعض العلماء يقول: إنّ عدد درجات الجنَّة بعدد آياتِ القرآن الكريم.

فينبغي أن يقفَ كلٌ منَّا وقفةً مع نفسه ليسألها - سؤالَ المتحقق الذي لا يرضى منها بجوابٍ عابرٍ، سؤالَ الغريق الذي يرجو النجاة، سؤالَ الواقع في الردى الذي يرجو الخلاص -: هل هي من النوع الأول أم من النوع الثاني؟ هل هو ممن اتخذ القرآن وظيفة فلا ثواب له، أو اتخذ القرآن رسالة فقد فاز بِكُلِّ ثواب، ينبغي أن يسأل الإنسان نفسه هذا السؤال، فإن الأمر جد خطير.

تعلمون - بارك الله لكم - أنَّ لكل نعمة ينعمها الله على الإنسان لها مقابَلة، بمعنى رد، جواب، كما قال سليمان عليه السلام: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: 40].

والذي يحدد هل هذه نعمة، منحة أم محنة، هذه عطية أم بلية، هذا خير أم شر، الذي يُحدده ليس عطاءُ الله لك، الله يُعطي من أحبَّ ومن لا يُحبّ، الذي سيُحدد هو موقفك أنت: هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر.

كذلك نعلم أن الذَّم في حالة أن الإنسان تأتيه نعمةٌ من الله تبارك وتعالى ولم يقابلها بما يجب عليه من الشكر هل الناس هنا كلهم سواء؟ لا يستوي في هذه الحالة أهلُ العلم وغيرهم، أهلُ القرآن

وغيرهم، كما قال تعالى يُشيرُ إلى ذلك في آيات كثيرة من القرآن الكريم: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 42] ، ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة: 44]، ولماذا نقرأ قول الله تعالى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: 9] في مقام المدح فقط، أليس كُلُّ عطاء معه مسؤولية وكل منحة وراءها تَبِعَة، فكلُّ إنسان يعلو مقامه تعلو مسئووليته، فمسؤولية الغفير ليست كمسؤولية العمدة، غير المأمور، غير المحافظ، وهو غير رئيس الوزراء، فكلما علا الإنسان في الرُّتبة كان مدحه مؤثرًا وذمه مؤثرًا ، لا يستوي أهل العلم وغيرهم، كذلك الإنسان إذا اصطفاه الله لمكانة، واختاره لمنزلة فأعرض عن اصطفاءِ الله واختيار الله، هل تجدُ أعظم إثمًا من هذا الإنسان؟ هل تجدُ أكبر جُرمًا من هذا الإنسان؟ وهذا التفاوت موجود في الشرع نلمسه في القرآن وكذلك السُّنة، التفاوت في الحسنات والتفاوت في الآثام، كما قال ﷺ يُشيرُ إلى بعض ذلك: "أعظمُ المسلمين في المسلمين جُرمًا من سأل عن شيءٍ فحُرِّمَ من أجل مسألته". فهنا أعظمُ جُرمًا، كذلك أعظمُ إثمًا، ليس أعظمُ إثمًا من إنسان اصطفاه الله لمكانة أو اختاره لمنزلة فأعرض عن اصطفاء الله ورفض اختيار الله، وإشارة إلى ذلك في قول الله تبارك و تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ - أعرضوا عن خيار الله - ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ﴾ - يتلوها مباشرةً - ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ

الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [البقرة: 61] .لا يكون اصطفاك الله لهذه المهمة ويكون المقابل أن لا تكون على قدر المسؤولية!!

اسمع الآن خبر هذا الإنسان الذي أورده الإمام مسلم في صحيحه - وأتمنَّى أن تسمعه بقلبك -: عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ قال: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى خيبر، ففتح الله علينا - يعني انتصرنا -، فلم نغنم ذهبًا ولا وَرِقًا، غنِمْنَا المتاع والطعام والثياب، ثم انطلقنا إلى الوادي - وادي القُرى - ومع رسول الله ﷺ عبدٌ له، وَهَبَه له رجل من جُذام يدعى رفاعة بن زيد - يخدم النبي عليه الصلاة والسلام -، قال: فلما نزلنا الوادي قام عبدُ رسول الله ﷺ يحلّ رحله - يُنزِلُ متاع النبيِّ ويُشرف على أحوال النبي ﷺ حتى يستريح – قال: فرُمي بسهم، فكان فيه حتفُه – مات - كان النَّاس يفرحون وقتها لمن يفوز هذا الفوز فلما حصل له هذا قال الناس: هنيئًا له الشهادة يا رسول الله!

فقال رسول الله ﷺ :"كلا والذي نفس محمد بيده! إن الشملة - العباءة - لتلتهب عليه نارًا، أخذها من الغنائم يوم خيبر، لم تصبها المقاسم" - سرقها قبل القسمة فعاقبه الله بها -، يقول أبو هريرة: ففزع الناس.

فجاء رجل بشِراكٍ أو شِراكين - سير الحذاء أعزكم الله يعني شيءٌ حقير جدًّا-

فقال: يا رسول الله! أصبت [هذا] يوم خيبر.

فقال رسول الله ﷺ: "شراك من نار - أو شراكان من نار."

هذا الرجل الأخير أدرك نفسه، أما الأول - إذا تفكرنا في حاله أيها الإخوة والأخوات - نجد أن الله أنعم عليه بأعظم نعمة في الوجود/ الإسلام، وأن الله رزقه بعد الإسلام رزقًا عظيمًا لم يرزقه إلَّا النُّدرة من البشر: عاش زمن رسول الله ﷺ، ونجد أن الله عز وجل منحه فرصةً من الفرص الذهبية: خدم رسول الله ﷺ، ونجدُ أن الله هيَّأ له الطريق إلى جناتٍ ونهر بل إلى الفردوس الأعلى: يحضر معركةً مع النَّبيِّ ﷺ ويُقْتل فيها وكان يمكنه أن ينال الشهادة، كُلُّ هذا العطاء من الله عز وجل له، ما هو مقابله هو الذي قابل به هذا العطاء؟ فوَّت المسكينُ كل هذا على نفسه من أجل طمع في شيء (عفن)، من أمور الدنيا، لا يساوي شيئًا.

غلبته عليه نفسه فاستسلم لها، وأغراه به شيطانه فمباشرةً طأطأ ظهره له فركبه وقاده إلى أسوأ مصير.

هذا مثال لنعلم كيف أنَّ الله تبارك وتعالى يمكن أن يختارك ويصطفيك لشيءٍ هو من نعمه وعطاياه أو من جلائل نعمه ومن عظيم عطاياه، ثم تُعرض أنت وتنصرف!!

أنظر إلى أين يذهب المصير بأولئك الذين أعطاهم الله فأعرضوا واصفاهم فانصرفوا، فاحذر أن يكون الله تعالى اختارك واصطفاك للقرآن، ثم تعرض أنت وتنصرف!

من هنا أيها الإخوة الكرام يتفاوت الناس في أخذهم القرآن، كما أنهم – عامة - يتفاوتون بين هالكٍ وناجٍ، وبين خاسرٍ ورابحٍ، وبين إنسانٍ حُرِم كل شيءٍ وإنسانٍ أُعطي كل شيءٍ، كذلك الذين في صفِّ

السفراء يتفاوتون في منازلهم ودرجاتهم عند الله بحسب المهام التي يرصدون أنفسهم لها ويخدمون القرآن من خلالها.

يا أيها الإخوة والأخوات، يا أهل القرآن، إنَّ لكم مهامًّا وعليكم واجبات عظيمة جليلة نحو القرآن، منها ما تشتركون فيه مع غيركم من المسلمين والمسلمات؛ لأنّ أهل القرآن من المسلمين والمسلمات، ومنها ما تختصون به عنهم بفضل هذه المهمة العظيمة الكريمة التي اختاركم الله تبارك وتعالى لأجلها والواقع الذي هيَّأه الله لكم، فلذلك أتوجه إليكم ببيان هذه المهامِّ وتلك الواجبات بإيجاز، فمن ذلك:

أولًا: تحقيق الإخلاص في مهمَّتك: فاحرصوا يا أهل القرآن على تجديد النية، احرصوا على تنقيتها، بحيث نصنع جدارًا كبيرًا عازلًا بيننا وبين الصِّنف الأول ونكون بالفعل سفراء للقرآن الكريم، ليس هذا فحسب، بل احرصوا على تجديد النّية وتنقيتها على الدوام بحيث تبلغون فيها أعلى الدرجات وتستكملون منها كافة الشروط، حتى تكونوا من عباد الله المخلِصين المُخلَصين.

وتذكروا على الدوام اختصاص النبي ﷺ لكم بالتحذير – حرصًا منه ﷺ عليكم – كما في قوله ﷺ في الحديث: "إنَّ اللهَ تبارك وتعالى إذا كان يومُ القيامةِ، ينزلُ إلى العبادِ، ليقضيَ بينهم، وكلُّ أمةٍ جاثيةٌ، فأولُ من يُدعى به رجلٌ جمع القرآنَ، ورجلٌ قُتِلَ في سبيلِ اللهِ، ورجلٌ كثيرِ المالِ، فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ للقارئ: ألم أُعلِّمْك ما أَنزلتُ على رسولي؟ قال: بلى يا ربِّ، قال: فما عملتَ فيما علمتَ؟ قال: كنتُ

أقومُ به آناءَ الليلِ وآناءَ النهارِ، فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ له: كذبتَ، وتقولُ له الملائكةُ: كذبتَ، ويقولُ اللهُ تبارك وتعالى: بل أردتَ أن يقالَ: فلان قارئ ... (وذكر الأخرَين وما جرى معهما، ثمَّ يقول الراوي - أبو هريرة رضي الله عنه): ثم ضرب رسول الله ﷺ على ركبتي، فقال: "يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعَّر بهم النار يوم القيامة".

الإخلاص أيُّها الإخوة الكرام، الإخلاص – يا أهل القرآن - شرط في قبول العمل الصالح، كما تُعلموننا في قول ربنا سبحانه في أواخر سورة الكهف: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: 110]

ثانيًا: فهم القرآن: احرص على معرفة معاني القرآن، وحققها، مثلما تحرص على معرفة الألفاظ وتدققها.

فليس القرآن كلمات مجردة، إنما هو معان نورانية، وتلك المعاني وأنوارها لا يمكن للمرء أن يعرفها بنفسه، بل يلزم للمسلم عامة ولأهل القرآن خاصة أن يطالعوا تفسيرًا من التفاسير المتوسطة [التي تكشف عن معاني الكلمات والمعاني الإجمالية وأسباب النزول، التفاسير التي تعرِّف بمقاصد السور وتنصُّ على بعض ما يستفاد من الآيات]. والهدف هو أن يسكن القرآن القلب والعقل، ويغذي الفطرة والسلوك، ولا يمكن أن يتم ذلك إلا من خلال معرفة تفسير القرآن الكريم، وهذا واجب مقدَّم على الاشتغال ببقية القراءات، بعد إتقان قراءة واحدة برواية واحدة يبدأ أهل القرآن هذا المشروع، وبعده

يكملون رحلة طلب بقية القراءات، وإذا كان بالإمكان الجمع بينهما في الطلب فلا بأس.

مطلوب منا أن نتوفر على هذا التفسير الذي وقع عليه الاختيار، فندرسه، نهضمه، ننجمع عليه لاستيعابه، تمامًا كما نفعل من الإكثار من تلاوة القرآن، كما نفعلُ من إجادة قراءته وحفظه، وكما نفعلُ في الاستماع إلى تجويد المجيدين من قرائه.

وبالجملة: مطلوب كما قدمت أن تسكن معاني القرآن في قلوبنا بالقدر الذي تسكنه ألفاظه في ألسنتنا، أي كما عندنا اجتهاد عظيم جدًّا جدًّا، في أن تسكن ألفاظ القرآن في ألسنتنا بطريقة صحيحة كذلك ينبغي أن نسعى إلى أن تسكن معاني القرآن في قلوبنا بنفس المقدار، لا نصبر على كلمة نقرؤها ونحن لا نفهم معناها، ما كان هذا شأنُ أصحابِ رسول الله ﷺ.

واعتبر في هذا بالحادثة الشهيرة التي جاء فيها أصحابُ النَّبي ﷺ يقولون هذه الآية: هلكنا، فقال: وماهي؟ قالوا: الله تبارك وتعالى يقول في سورة الأنعام: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: 82]. فعلق الأمن والهداية على مسألة الظلم فإذا وقع ظلمٌ من الإنسان ليس له أمن، وليس له هداية، فالنبي ﷺ أدرك ما يرمون إليه، وبعضهم قالها، قال: يا رسول الله وأينا لم يظلم نفسه؟ على الأقل، فالنَّبيُّ ﷺ أوضح لهم أن هذا الظلم مقصود به الشرك، وقرأ لهم ﷺ قول لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: 13]

ثالثًا: العيش بالقرآن؛ أن يكون فهمنا قرآنيًّا، وقولنا قرآنيًّا، وسلوكنا قرآنيًّا، أن نكون - كما عبر بعضهم عن هذه الحالة -: قرآنًا يمشي على الأرض.

إننا – أيها الإخوة والأخوات، يا أهل القرآن - نشهد صحوةً إسلاميةً كبيرة، في جانب العلم والتعلم والتعليم، يُخطئ من ينكر أن الشباب الآن ما شاء الله في مجال الكتب والمجالس والشيوخ وبرامج وطلاب، تبرز فيها مناهج ومقررات وترتيبات تناسب جميع المستويات: المبتدئ والمتوسط والمنتهي ... إلى آخر ما هو معلوم في هذا الجانب، صحوةٌ حاضرةٌ طاغيةٌ وهو شيء مشكور وسعي مبرور وجهد مأجور بمشيئة الله تعالى، لكن مما يحزن المتابع لهذه الحركة أو القضية أننا لا نرى مثال ذلك في جانب العمل، هذا في جانب العلم، لكن أين الربانية في حياة الأمة؟ أين شيوخها وطلابها؟ أين كتبها ومقرراتها؟ أين دورها وحلقاتها إن أردت أن أكون من طلابها؟ أين رعاتها ودعاتها؟ أين مناهجها وبياناتها؟ أين ...؟

إنِّ علمًا لا يتبعه عمل يُنزِلُ بصاحبه غضب الله تعالى، وإنِّ عملًا لا يهديه عِلْمٌ صاحبُه في ضلال مبين، لابد من الجمع بين الاثنين، كما قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: 7]، فالمغضوب عليهم هم: الذين علموا ولم يعملوا، عرفوا العلم ولم يعملوا بمقتضى علمهم ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ﴾ [البقرة: 146] ، والضالون من هم الضالون؟ هم الذين قصروا في العلم والتعلم فعملوا بغير علم. وصاحب القرآن لا بد له - حتى يكون القرآن حجة له لا عليه - من

أن يجمع بين العلم والعمل، وفي الحديث أن النبي ﷺ قال: "والقرآن حجة لك أو عليك"، فهو حجة لك إذا تعلمته وعملت به، وحجة عليك إذا فرطت في العلم والعمل فأحدهما. لا ينبغي أن نصبر على ما تعلمناه حتى نحوله إلى تطبيق في عالم الحياة. واعتبر بهذا الحديث مما تعلمناه من حياة رسول الله ﷺ الحديث عظيم سأقتصر لأن الحديث طويل يقول فيه سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه وأرضاه لما نزلت قول الله تبارك وتعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ﴾ [البقرة: 284]، لما نزلت جاء أصحاب النبي ﷺ فجثوا على ركبهم فقالوا: "يا رسول الله نزلت التي لا نطيق" كل آية كانت تنزل كنتم تطيقونها هذه هي التي لا تطيقونها، نعم هكذا يقول أبو عبدالرحمن السُّلمي: "حدثنا الذين كانوا يُقرئوننا القرآن أنهم كانوا يتعلمون خمس آياتٍ بخمس آيات لا يتجاوزنهنَّ حتى يتعلموا ما فيهنَّ من العلم والعمل"، وكانوا سببًا جزاهم الله عنَّا وعن المسلمين خير الجزاء في أن ربنا سبحانه وتعالى نسخ هذه الآية الشاقة الشديدة التي لا يمكن أن يتحملها الإنسان، نُسخت بقول الله بعدها: ﴿ يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: 286]، فانظر إلى أصحاب النَّبي ﷺ ما صبروا على ما تعلموه حتى حولوه إلى تطبيق عملي في واقع الحياة، ولمَّا عجزوا عن التطبيق عن شيءٍ منه جاءوا يعتذرون.

المسلم لا ينبغي أن يكتفي بالصورة عن الحقيقة، خاصة أنتم يا أهل القرآن، فإنكم تتحملون ضريبةً عظيمةً جدًّا من أجله. أذكر بعضًا من مشايخنا وقد تُوفي قريبًا كان يقول: "يعني أنا عشان قلت عني الشيخ

يوسف تحملتُ ضريبةً مدة تسعين سنة لأجل هذه الكلمة يا شيخ يوسف"، لأنه حافظ القرآن، فإذا كان المسلم يقال له: أنت مسلم، فكيف تفعل هذا؟ وتُوضع عليه الآمال، وتُصب عليه ألوان العذاب لأنه مسلم، فأهل القرآن هم منا – أهل الإسلام – بمنزلة الوجه من الإنسان، أو بمنزلة العين من الوجه.

وإذا كانت أكبر عقبة اليوم أمام الإسلام هي: حال المسلمين!! قرأتُ قريبًا عن عالم مسلم ليس في زماننا هذا، بل من قبل، قال هذا عالم مسلم عندما زار أوروبا وسأله طلابه: هل ممكن تدخل أوروبا الإسلام؟ قال: ستكون طريقُ الغربيين مفتوحةً إلى الإسلام عندما يقتنعون بأن المسلمين الموجودين اليوم لا يمثلون الإسلام.

بل قالها أحد المفكرين الغربيين وقد أسلم نتيجةً لمقارنته بين الأديان ثُمَّ هفت نفسه أن يحج إلى بيت الله الحرام فزار بلاد المسلمين، وعندما زار بلاد المسلمين قال: "الحمد لله أني أسلمت قبل أن أرى المسلمين فلو أني رأيت المسلمين أولًا ربما لم أسلم". إذا كان هذا هو أعظم عائق أمام الإسلام اليوم فإننا نمد أيادِيَنا اليوم وكل يوم لأهل القرآن نطلب منهم أن ينقِذوا الوضع بطريقتين:
- **الطريقة الأولى: بأنفسهم في ناحية القدوة.** وهذا كما قلته في مسألة العيش بالقرآن فهمًا وقولًا وسلوكًا.

- **الناحية الثانية: بجهودكم يا أهل القرآن.** في أمرٍ سأحدثكم به الآن حديثًا لن أخفيَ عنكم أنه هو سبب هذا اللقاء وهو الدافع الذي جعلني أطلب أن أتحدث به.

أيها الإخوة والأخوات .. يا أهل القرآن، هذه الثلاثة: (تحقيق الإخلاص في مهمتكم، وفهم القرآن، والعيش بالقرآن) بالإضافة إلى ما تقومون به - بارك الله سعيكم وشكر جهدكم – ما تقومون به بالفعل من التلقي بإتقان، والأداء بإتقان، هذه الثلاثة تجمع - إن شاء الله تعالى – كلَّ ما عداها من المهامِّ التي يمكن أن أطرقها وأفرِّع الكلامَ ليتناولها. لكنِّي أريد أبثكم هذه النقطة الثانية التي عنونتُ لها في محاور المحاضرة قلت: **كيف يُسهمُ أهلُ القرآن في ردِّ الإسلام ليكون رائد الحياة من جديد؟**

أيها الإخوة والأخوات .. يا أهل القرآن، إنَّ ردَّ المسلمين إلى الله عز وجل واجبُ كل مسلم، القادر يردهم بنفسه، وغير القادر يرُدهم بتوفير هذا القادر.

عندنا في الإسلام فروض الكفايات كما لا يخفى عليكم، وفروض الكفايات من المفاهيم التي تغيرت عند المسلمين في الأزمنة الأخيرة، فاكرين يعني نحن محتاجين أطباء، مهندسين محتاجين أهل دعوة ثم نصدر لهذا المجال بعض النَّاس ثم يكون ليس علينا حاجة، من قال هذا؟ من الذي قال ليس علينا شيء؟ فرضُ الكفاية هذا ما معناه؟ فرضُ الكفاية فرضُ على الأمة كلها، فرضٌ عليها أن توفر من فيهم الكفاية: أولًا: توفر البعض، وثانيًا: توفر من فيهم الكفاية، وثالثًا: توفر من عندهم الأهلية للقيام بهذه المهمة، رابعًا: أنها تتحرى وتراقب،

تراقب أدائهم هل تمَّ؟، تراقب عملهم هل أُديَّ؟، تراقب رسالتهم هل تمت على الوجه المرضي لله ولرسوله ﷺ؟

مطلوب من الأمة كلها أنها تراقب وتتحرى هل بالفعل أولئك الذين قاموا بهذا العمل هم أهل له، هم فيهم الكفاية فعلًا، وهل قاموا به وأدوه أم لا؟

وكذلك تبليغ رسالة الإسلام إلى من لم تبلغه من غير المسلمين، فرسالتنا ليست رسالة تنتهي بانتهاء الرسول، فالدعوة عندنا أبقى من الداعية، كما علَّم ربنا تبارك وتعالى هذا الدرس الصحابة رضوان الله تعالى عليهم في شخص رسول الله ﷺ من خلال الآيات: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾ [آل عمران: 144]

فردُّ المسلمين إلى دينهم وتبليغ هذا الدين لغير المسلمين حق هذا الدين في رقابنا، يقوم به من فيهم الكفاية، وعلى الأمة توفيرهم وتأهيلهم وتقديمهم وتحميلهم المسؤولية ومراقبتهم في أداء مهمتهم والقيام بوظيفتهم.

فإذا فعلت الأمة ذلك فالحمد لله .. وإلا؛ أثمت الأمة كلها.

إننا – أهل القرآن - نحتاج الإسلام، ويحتاجه المسلمون، ويحتاجه غير المسلمين - فمن أجل أن نحافظ على الإنسان: بدنه وروحه.

ومن أجل أن نحافظ على الأسرة: مادةً ومعنىً.

ومن أجل أن نحافظ على المجتمع: وحدةً وقوةً.

ومن أجل أن نُخرجَ هذا الكون من الذل الذي يعيشه ويعانيه تحت سيطرة الأيادي الملوثة والشعارات التي لا حقيقة لها إلى العز الذي جرَّبه قبل هذا في ظل العيش مع الأيادي المتوضئة من صحابة النبي ﷺ وأتباعه وأتباع أتباعه إلى أواخر أمة الإسلام لما سقطت الخلافة الإسلامية.

ومن أجل أن نحافظ على الدين: الماضي والحاضر والمستقبل ..

ومن أجل أن نمنح أنفسنا وغيرنا: القيم والمبادئ الحقيقية بعيدًا عن القيم الزائفة والمبادي الملوثة والشعارات التي لا حقيقة لها.

ومن أجل أن نُري الدنيا الحرية .. الحرية الحقيقية في عبودية الواحد الأحد، وفي السعة في العمل للدنيا والآخرة، والعدل في العمل بشريعة الإسلام، كما عبَّر عن ذلك الصحابي رِبعِيّ بن عامر رضي الله عنه وأرضاه وهو بين يَدَيْ رُستُم قائد الفرس لما قال له: لماذا جئتم؟ قال: "إن الله ابتعثنا لنخرج العبادَ من عبادة العبادِ إلى عبادة ربِّ العباد، ومن جَور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدُّنيا إلى سعة الدَّنيا والآخرة"، هذه هي الرسالة التي حملتها الأمة بعد نبيه ﷺ، ولك أن تتأمل طويلًا في كلمة هذا الصحابي (إن الله ابتعثنا)، يستعملُ كلمةً استعملها القرآن - كما تعلمون أكثر مني - استعملها في الأنبياء والمرسلين، وهو استعملها في نفسه، لأن هذه الأمة مُبتعثة كما قال نبينا ﷺ: "يسِّروا ولا تعسِّروا، وبشِّروا ولا تنفِّروا"، "فإنَّما بُعِثتم ميسِّرين ولم تُبعَثوا معسِّرين"، يعني: إن أنا قمتُ في هذا المقام فأنا

رسول رسول الله ﷺ، وإن أنت قمت في هذا المقام فأنت رسول رسول الله ﷺ.

فمن – أيها الإخوة والأخوات – تطمح نفسه أن يكون سببًا في عودة الإسلام من جديد؟ من يعمل لهذه العودة؟ من يؤسس ليكون الإسلام قائد الحياة؟ من يكون رسول رسول الله ﷺ؟ ولن يكون حتى يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة، أقرأُ وتحفظون قول الله عز وجل: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: 108]، ابن القيم رحمه الله تعالى استنبط من هذه الآية أنَّ كل مسلم لابد وأن يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة وهذا شرط، قال: "فلا يكون الرجل من أتباع رسول الله ﷺ حقًا حتى يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله على بصيرة".

ويقول النبي ﷺ: "بلِّغوا عنِّي ولو آية"، بلِّغوا: هذا فرض وتكليف، عنِّي: هذا فخر وتشريف، ولو آية: هذا تيسير وتخفيف.

أكرر النداء مرة أخرى: من يرغب أن يكون هذا السبب الذي يضع البذرة ويغرس الغرس كما جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: "لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرسًا يستعملهم في طاعته". من يريد أن يكون رسول رسول الله ﷺ، وأن يكون غرس الله عز وجل.

وأحسب أن قلوبكم تجيب الآن : "كلنا لها"

يا أهل القرآن .. قد هيَّأ الله لكم واقعًا، ووضع الله عز وجل أمامكم فرصة عظيمة لو انتهزتموها لكنتم أسعد الناس، هذه الفرصة وهذا

الواقع أنَّ الأُسَرَ المسلمة من الشرق والغرب قد ألقت بفلذات أكبادها بين أياديكم، بثمرات فؤادها، بل ربما بما هو أكثر من ذلك .. إخوة يحفّظون الآباء، وأخوات يحفّظنّ الأمهات، وإخوة وأخوات يحفّظون الأبناء والبنات، معكم الحاضر ومعكم المستقبل ومستقبل المستقبل.

فلا يغيبنَّ عن أذهانكم أبدًا أنّ هؤلاء هم أمل أمة الإسلام وهم – إذا صدقنا الله فيهم – هم حملة رسالة الرسول ﷺ، وهم مستقبلنا الذي نرجوه، وعزنا الذي نأمله ونصرنا الذي نبحث عنه، وهذا الأمر يحتاج من أهل القرآن إلى تفكير وتخطيط، ويحتاج من أهل القرآن بأن تجلس كل أختٍ مع نفسها، وكل أخ مع نفسه: كيف أُدخل الدين في القلب والبيت الذي أَدخله؟ - سواءً كان هذا الدخول مباشرًا أو غير مباشرٍ عبر أي وسيلة نتصل بهم من خلالها - إلى هذه الأسر عامة، وإلى أولئك الأطفال الذين نتعامل معهم منها خاصة.

لتكن لكل منّا طريقته المحببة، وليكن لكل منّا وسيلته المفضلة التي يختارها بنفسه فلو اختلفنا في الوسائل والطرق والسبل والأسباب والأساليب المهم: أن نصل بالإسلام إلى قلوب هؤلاء، ندعوا إلى الإسلام كله عقيدة وعبادة وأخلاقًا، إسلام الصحابة والتابعين، إسلام الدنيا والآخرة، إسلام الدنيا والدين، كما قال تبارك وتعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾ [البقرة: 137]، وقد نجحتم ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم.

فهذه أمانة أُحَمِّلُها لأهل القرآن .. أن يكون كلٌ منَّا قرآنًا، وأنّ يكون كلٌ منّا داعيةً، لسانًا يُفهم ما في القرآن، وجوارحَ وقلبًا قبل هذا، يعني تطبق ما في القرآن ولسانًا يدعوا إلى القرآن.

أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يأتي ذلك الكلام الذي قلتُه في قلوبنا، وأن نأخذه بقوة، وأن يكتب لنا تبارك وتعالى أن ننجح فيه، وأن يؤتي ثماره، ونختم بالدعاء العظيم الذي لا نفترُ عنه أن يستعملنا ولا تستبدلنا.